

أوغاريت... سيدة كنعان البحرية تباهي العالم بابتكار الأبجدية والتدوين الموسيقي

إيناس سغان



في تعاقب زمني لا نظير له في العالم، تطور الإنسان على الأرض السورية من حالاته الأولى في البحث عن مفاتيح الحضارة، إلى الإمساك بهذه المفاتيح. فبعد العصر الحجري الحديث، تطورت البنى السكانية في سورية، فأنشأ العموريون والكنعانيون ما يعرف بممالك المدن التي امتدت من الشرق في ماري وحتى أوغاريت في الغرب، واتصلت هذه المدن ببعضها برياط عرقى واقتصادي وجغرافي. تعد أوغاريت التي مرت سنون 87 على اكتشافها، من أهم هذه الممالك التي سكنها الإنسان السوري منذ العصر الحجري الحديث، وشغلت مقعاً مقدماً على خريطة الحضارات القديمة في الشرق، للأهمية التي تتمتع بها وما تم الكشف عنه من آثار لمدينة جيدة التخطيط والمباني متقدمة في العلوم والصناعة، وعتدت ملتقى اللغات وموطن الأبجدية الأولى في تاريخ البشر.

وأغاريت التي كانت معروفة لدى الآثريين عبر ورود اسمها في وثائق وجدت في ممالك كنعانية أخرى كماري ويمحاض، حيث ذكر وجود مدينة مزدهرة تقع قرب موقع مدينة اللاذقية الحالي، وكما الحال مع سائر المدن المدفونة تحت الأرض، اكتشفت أوغاريت صدفة عام 1928 عندما اصطدم محراث فلاح من أهالي قرية رأس شمرا بحجارة منحوتة ضخمة، تبين أنها سقف لمدفن أثري عاتى، فشُكلت على إثر ذلك بعثة أثرية للعمل في الموقع برئاسة عالم الآثار الفرنسي كلود شيفر بدءاً من عام 1929.

وجاءت تسمية رأس شمرا لموقع أوغاريت من نبات الشمر الذي يغطي التل المرتفع التي توضع عليه. كما اشتق اسم أوغاريت من كلمة «أغارو»، التي تعني باللغة الأكادية «الحقل».

ويورد الباحث الدكتور محمود حمود في دراسة له عن أوغاريت أن عمليات التنقيب بينت وجود خمس سويات أثرية في الموقع، تمتد من نحو 7500 إلى 1200 قبل الميلاد. أهمها السوية العائدة إلى عصر البرونز المتأخر 1600 . 1200 قبل الميلاد، والتي أظهرت أن أوغاريت كانت إحدى أهم ممالك الشرق القديم. وتآلفت مدينة أوغاريت من قسامين؛ الأول مدينة مرتفعة تتضمن الأبنية الضخمة كالمعابد والقصور، والثاني مدينة منخفضة تتضمن بيوت الناس العاديين. وأحيطت كلا القسامين بسور دفاعي مهم، شُف عن جزء منه في الجهة الغربية من المدينة، وهو من النوع المسمى السور المنحدر ذي القاعدة العريضة، تدعمه الأبراج القوية وتخرقه البوابات من نوع الكماشية التي يعتقد أن أوغاريت احتوت أربعة منها على غرار باقي المدن العمورية/الكنعانية.

وكانت الأبنية تتألف من طابقين أو أكثر، وكان قبر العائلة في البيوت الكبيرة يقوم تحت أبنية السكن المرصوفة بالأحجار والمنحوتة بعناية. كما احتوت هذه البيوت آبار مياه وحمامات وتمديدات أسرى علاجها اقية وشبكة توزيع وتصريف دقيق للمياه.



وكشف في أوغاريت إضافة إلى القصر الملكي الرئيس الكبير، عن قصرين آخرين؛ الأول القصر الشمالي لوقوعه شمال القصر والمخازن والمستودعات والحرس والخدم، بينما خصص الطابق الأعلى لسكن العائلة الملكية. كما وُجد في القصر الملكي عدد كبير من الوثائق الكتابية واللقي الأخرى من بينها الرأس العاجية والطاولة والأسرة.

والى الشرق من القصر، هناك الهي الملكي، وفي الجهة الشمالية الشرقية في الإكربول معبدان «لـبعل» و«دجن» وبيتهما بيت الكاهن الأكبر.

ويمكن قياس مستوى تطور أوغاريت من الاكتشاف الأهم فيها، والمتعل بالأنجيدية الأوغاريتية التي تعد أهم ركائز الحضارة البشرية، فالقدرة على اختزال اللغة بهذه الطريقة تدل على مستوى معرفي راق جداً. وكما ورد في كتاب «لونا في الرؤى اثر» للباحث الدكتور علي القيم، فإن تاريخ الأنجيدية الأوغاريتية يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهي أقدم أنجيدية معروفة مكتشفة حتى الآن في العالم القديم، وكان استخدامها في الكتابة بمثابة اختصار لإشارات كانت تصل بين 600 800 إشارة في الكتابة السامرية المقطعية، ويعود الفضل في استعمالها ونشرها في العالم القديم إلى سكان الساحل السوري في الألف الثاني قبل الميلاد.

فكث رموز اللغة الأوغاريتية بعد جهد كبير من العلماء، ويظهر طابعها الأنجيدية المؤلف من ثلاثين علامة، كلمات متتالية كلما تزايد على أربعة أحرف مفصولة بفواصل شاقولي، وأول من نشر النصوص الأولى، كان العالم شارل فيرولو وإدوارد دورم الذي فك رموزها الكتابية. وتشهد الوثائق الكتابية التي اكتشفت في أوغاريت على وجود ثماني لغات كانت متداولة في مملكتها وهي الأوغاريتية والأكادية والحورية والحثية والوفية والسومرية والمصرية والقيصرية.

أما «أنشودة العبادة» الأوغاريتية التي اكتشفت عام 1948 في رأس شمرا على رقيم مسماري نقتش عليه رموزها، والتي يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، فما زالت تستأثر باهتمام الباحثين والموسيقيين والمهتمين بشؤون التاريخ والموسيقى حتى اليوم، وهي أقدم مدونة موسيقية وجدت في العالم، وتتميز بأن سلمها الموسيقي أقدم من السلم السباعي البياتوني الذي ينسب إلى العالم اليوناني فيثاغورس بنحو 900 سنة.

كما عثر في أوغاريت على مئات القبور الحجرية، وعلى عدد من اللقى الأثرية من بينها تماثيل الآلهة المقدسة صغيرة الحجم، المصنوعة من الذهب والبرونز والحجر، ومن أهمها تماثلان لـدايل، و«بعل» مطلق بالذهب، إضافة إلى تماثيل لآلهة ويشر وحيوانات وطيور مغطاة بالذهب، من بينها الصقر وهو

رمز الإله المصري «حورس». وعثر أيضاً على مئات الرقم الطينية السامرية التي كتبت بلغات متعددة، إضافة إلى مجموعة المجوهرات والحلي وأدوات الزينة والحاجيات والأختام الأسطوانية والأواني الفخارية والمعدنية، فضلاً عن عدد من المعادن التي أظهرت مهارة الفنان الكنعاني، إذ اكتشفت قفص من الذهب الخالص قطرها 17 سنتيمتراً، نقشت عليها أشكال متنوعة تؤلف بمجموعها مشهداً معيناً تنكرر عناصره على أدوات تعود إلى عصر «نوت عنخ آمون». كما اشتهرت أوغاريت بحرفة صناعة العاج، ولم يقتصر استعماله على صناعة الأدوات الصغيرة، إنما استخدم في ترصيع قطع الأثاث وتطعيمها، إذ عُثر في «مدينة البيضاء» في أوغاريت على غطاء عاجي نقشت عليه صورة سيدة جميلة، كما عُثر في حديقة القصر الملكي على قطع عاجية من أثاث.

وتميّزت أوغاريت بصناعة الأرجوان الذي درت صناعته والتجارة به أرباحاً وافرة على الأوغاريتيين، لأنه كان من المواد باهظة الثمن، وكان يستخرج من المحار، وهذا ما دفع الإغريق ليعتلقوا على سكان الساحل السوري اسم «الفينيقيين» الذي يعني بالإغريقية الأرجوان. ولعل أحد أهم ميزات أوغاريت أنها بنيت كمدنية قادرة على استيعاب التطور الذي من الممكن أن يحصل في ما بعد، واستفادت من موقعها كمرفأ بحري في نقطة استراتيجية وسطية، ومن خبراتها الزراعية الوفيرة لتعرب دوراً تجارياً وحضارياً متميزاً، وليصل تأثيرها حتى بابل في الشرق، ومصر في الغرب، مستفيدة من أسطولها البحري الضخم.

ويقدم الآثريون فرضيتين حول زوال مملكة أوغاريت، تؤكد الأولى أن ذلك تمّ بعد تدويرها على يد شعوب البحر القادمة من البلقان في مطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد في عصر آخر ملوكها «عمورابي»، وفرضية أخرى تعزو زوال أوغاريت إلى كارثة طبيعية ربما تكون زلزلاً.

ويحسب الباحث الأثري غسان القيم، فإن مملكة أوغاريت التي وصلت مساحتها الجغرافية إلى نحو 36 مساحتاً لم تكشف عمليات التنقيب حتى الآن سوى عن 20 في المئة منها، وبحسب ترجمة الوثائق فيها تبين أنها ضمت العاصمة أوغاريت وأكثر من 350 قرية وبلدة وزراعة حملت أسماء مطابقة في معظمها لأسماء القرى والمدن الحالية في محافظة اللاذقية مثل «يسنادا»، و«روضو» و«العمرونية»، و«جناتا»، وغيرها.

وأشار إلى أن آلاف اللقى الأثرية والرّم التي وُجدت تدل على عظمة الفن الأوغاريتي وروعته، وإبداع الفنان السوري.

وإذا كان المؤرخ اليوناني الأشهر هيرودوتس قد أكد قبل نحو 2500 سنة أن الفينيقيين نقلوا إلى الإغريق معارف لم يكونوا يعرفونها ومن بينها الحروف، فإن الواقع الحالي يشير إلى أن نحو خمسين جامعة في العالم تدرس طلابها أنجيدية أوغاريت.

ونظراً إلى تعلقها الشديد بالمسرح الذي ترقى فيه فضاء لتفريغ الداخل الإنساني ورسم الإلتسامة على وجود المشاهدين. مشيرة إلى أنّ تجربتها في هذا العرض منحنتها أسرة جديدة وأكسبتها ميزة العمل الجماعي، نظراً إلى أجواء التشاركية التي سادت فترة البروفات. أما الممثلة الشابة كريستين كريمة، وهي طالبة أدب إنكليزي، فأكدت أنّ العمل يحكي بأمانة وشفافية عن الواقع اليومي الذي يعيشه السوريون. وجاءت مشاركتها فيه لرغبتها في إيصال رسالة تروى من خلالها ما يحدث في الأرض الآمنة تعبير.

إطلاق ثلاثة كتب في الذكرى المئوية للإبادة الأرمنية



مقدم الحضور

أقيم في كاتوليكوسية الأرمن الأرثوذكس في أنطاكيا، احتفالاً قدمت خلاله ثلاثة كتب بمناسبة الذكرى المئوية للإبادة الأرمنية، والكتب لكل من نورابيرقداريان وصالح زهر الدين وسيتا دادويان، وذلك برعاية الكاتوليكوس آرام الأول، بحضور بطريرك السريان الكاتوليك أغناطيوس يوسف الثالث يونان، المطران بولس صباح ممثلاً

البيطريك الماروني بشارة بطرس الراعي، والمطران ثيوفيلوس جورج صليباً ممثلاً بطريرك السريان الأرثوذكس أغناطيوس أفام الثاني، وفاعليات. وتخللت الحفل معزوفات فنية كلاسيكية.

بدأت، تحدّث الأرشمترديت هوسيك مارديروسيان باسم الكاتوليكوس آرام الأول وقال: كما تعلمون، تصادم هذه السنة، الذكرى المئوية للإبادة الجماعية الأرمنية، واحتراما للذكرى هذه الكارثة الوطنية الأليمة، قدمت نشاطات مختلفة من قبل الأرمن في أرمينيا وفي بقية العالم، كما أقيمت نشاطات عدّة عن مذابح السريان والكلدان واليونانيين. وقد شارك أبناء هذه الكنائس في نشاطاتها كافة، فنحن نتذكرنا سوياً شهداءنا وطالبنا العدالة، ونستغل نطالب بها المجتمع الدولي.

وتابع: إن الكنيسة الأرمنية، كضحية هذه الإبادة والتشريد، بذلت وما تزال تبذل جهداً جباراً في مجال التوعية والمطالبة. ومن ضمن هذه الجهود، طباعة دراسات ووثائق عن الإبادة الأرمنية. ذكر

هنا ثلاثة كتب وهي: «شهادات لبنانية في الإبادة الأرمنية»، «Legal Avenues for Armenian Genocide Reparations» و«The Armenian Catholicosate of Cilicia».

وتشارت دادويان إلى أنّ كتاب «The Armenian Catholicosate of Cilicia History. Mission. Treasure»، (كاتوليكوسية الأرمن ليبت كيليكيا: تاريخ، رسالة وثروة)، هو عمل مميز في الشكل والمضمون، والهدف عمل تاريخي بمفهوم التاريخ المعاصر. وقالت: يتطرق هذا الكتاب إلى ذكريين مؤيتين، لكن ليس عن طريق الصدفة. الأولى ذكرى الإبادة الأرمنية والثانية الانتقال الجبري للكرسي السولي من كيليكيا. والجدير بالذكر أنه في الحالات والأوقات كافة، كانت الكنيسة مع الشعب في كل مكان. ولكن بعد الانتقال الجبري استطاعت الكنيسة أن تحقق نهضة في تاريخ الكنيسة وتاريخ الشعب الأرميني.

ميرنا ملوحي: مشكلة الأغنية السورية في ضعف الإنتاج



محمد سمير طحان

إلى مشاركتها في أوبريت غنائي مع مغنيين عرب.

وعن اللون الغنائي الأقرب إلى صوتها تشير ميرنا إلى أنه النمط الكنجيسة، ومن «جوقة الوادي الدينية» التي كانت تؤدي فيها ترانيل مفردة كمرتلية صولو. وعلى رغم دراستها الأدب الإنكليزي وعملها في أحد البنوك، إلا أن شغفها بالفن دفعها إلى دخول هذا العالم الذي بدأتها بالتدرب على أصول الغناء الشرقي تحت إشراف أستاذها باسل صالح، الأستاذ في المعهد العالي للموسيقى، لتضع قدمها على أولى درجات الاحتراف الفني.

وعن بدايتها الفنية وطموحها تقول ميرنا: أغنيتي الأولى كانت ديو بمشاركة الفنان إيداد حنا، والتي جاءت موجهة لأمّ الشهيد في عيد الأم عام 2014. فمّ اتصل بي المايسترو براق تناري الذي كان يصعد لإنشاء فرقة «طرب دهب» المعنية بتقديم الغناء التراثي والطربي بتوزيع جديد، وتضم عدد كبير من العازفين وثلاثة مغنيين.

وطلب مني الانضمام إلى الفرقة فوافقت لإعجابي بنتاجها، وبداننا بالتدريب والتحضير لتكون أولى حفلاتنا في دار الأوبرا في كانون الأول الماضي.

وتابعت: بعد النجاح الذي لاقته الحفلة، قمنا بجولة في عدد من المحافظات وأقمنا حفلات في المراكز الثقافية ضمن مهرجان «معا إلى سورية»، فمّ كانت هناك عدة حفلات في غياب شركات الإنتاج الفني في مجال الأغنية، إلى جانب ضعف الدعم الذي يقدّم للأغنية وللغنان السوري من قبل المؤسسات المعنية بالفن والثقافة، من دون أن تغفل دور الإعلام في ضرورة تبني المواهب السورية الشابة، ومساعدتها في بداية طريقها للوصول إلى الجمهور.

ولا تلق ميرنا في الوقت ذاته ببرامج المواهب الغنائية على الفضائيات العربية التي ترى فيها الكثير من عدم النزاهة والمحسوبيات لمصلحة مكاسب مادية للشركة المنتجة، وسياسة

البرامج، لكنها على رغم ذلك، تمنع من حيث الفكرة في المشاركة ببرنامح مسابقات المواهب إذا توفّر فيه شرط النزاهة والاحترافية، بعيداً عن المعايير السياسية والمادية البحتة.

وتوضح المغنية الشابة أن الحضور والشكل عاملان أساسيان في نجاح الفنان، ولكن لا يمكن أن يعتمد الفنان عليهما وحدهما، إذ يتأين في المرتبة الثالثة في قائمة عوامل نجاح الفنان بعد الصوت الجميل والاختيار المناسب، والذي للأغنية كلمة ولحنا. لافتة إلى أنّ خلل في هذا الترتيب ستكون نتيجته الإخفاق والاختفاء عن الساحة الغنائية، حتى لو تحقق نجاح سريع في البداية، لكنه لا يدوم.

وتدعو ميرنا الجهات والمؤسسات المعنية بالفن والثقافة والإعلام إلى دعم المواهب الفنية السورية الجادة، لتطوير الأغنية السورية بكل جوانبها. مشيرة إلى أن لون الغناء الشعبي، على أهميته، إلا أنه طغي في الفترة الأخيرة على باقي الألوان الغنائية السورية بسبب حاجة الناس إلى سماع أغنية مفرحة بسيطة تخرجهم من حالة الحزن بسبب ما نمرّ به من أزمة.

ولا تخفي المغنية الشابة في ختام حديثها خوفها على الأغنية السورية، متمنية في الوقت ذاته أن تستطيع هذه الأغنية - في ظل كل العقبات والصعاب - أن تتطور وتنافس في الساحة الغنائية العربية كما الدراما السورية تنافس وتحقق العرايب الأولى عربياً.